المسيح المعلم

نيافة الأنبا رافائيل

"ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل. فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلاً" (مت 1:5).

هذا ما يحدث كل يوم بالكنيسة.. إذ يرى المسيح شعبه المجتمع يصعد إلى الجبل (المنجلية - الإنجيل) ويبدأ حديثه العذر معنا ليعزينا ويشجعنا وينهض قلوبنا للتوبة والجهاد المحبوب...

وإذ تؤمن الكنيسة أن قارئ الإنجيل فى القداس هو المسيح نفسه لذلك فهي تعبر عن هذا الإيمان فى طقسها المشبع بترتيبات تبرز شخص ربنا يسوع المسيح حاضراً فى وسطنا كرب للبيت وأب للأسرة يضم أبناءه تحت جناحيه وهو "يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت 29:7).

فبعد الانتهاء من قراءة السنكسار (سير القديسين) كامتداد للإبراكسيس (أعمال الرسل) يتجلى المسيح المعلم وتراه الكنيسة بين الإيمان فتستعير تسبيح السمائيين وتهتف بلحن أجيوس بطريقة الانتيفونيا (المرابعة) "وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض" (أش 3:6)، فيقول الخورس البحرى الربع الأول ثم الخورس القبلى الربع الثانى وهكذا متشبهين بالسمائيين عن استعلان ربنا يسوع المسيح وأثناء ترتيل لحن (أجيوس) يمسك الكاهن الشورية ويرفع البخور كالسماء تماماً "وامتلأ البيت دخاناً" (أش 4:6).

وهنا تعبر سحابة البخور الكثيفة عن حضور ربنا يسوع المسيح كما ذكرنا سابقاً. فيقف الأب الكاهن ليخاطبه قائلاً: "أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا الذى قال لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار. إن أنبياء وأبرار كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا وأما أنتم فطوبى لأعينكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (راجع مت 16:13،17).

لقد كان التلاميذ مطوبين لأنهم سمعوا ورأوا رب المجد وها نحن الآن ننال نفس الطوبى لأنه سيحضر ويكلمنا بشخصه المبارك القدوس.

وتعتبر هذه الصلوة (الأوشية) هى الجزء التأسيسى فى قداس القراءات (الموعوظين) إذ هى المرجع الكتابى الإنجيلى لحقيقة حضور المسيح المعلم فى الكنيسة "طوبى لأعينكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع" (مت 16:13).

وقبل أن يعزينا المسيح إلهنا بكلماته المقدسة نتوسل إليه من أجل أخوتنا الغائبين عنا بالجسد (الراقدين والمرضى) "الذين سبقوا فرقدوا نيحهم، المرضى أشفهم" مع الكنيسة فى حضرة المسيح وهو يعلمنا "لأنك أنت حياتنا كلنا، وخلاصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفاؤنا كلنا، وقيامتنا كلنا".
المزمور والمزمور السابق للإنجيل له ثقل لاهوتى وتفسيرى لا يستهان به. إذ يسبق ويشير إلى المسيح بروح النبوة كمثل يوحنا المعمدان، لذلك عندما نسمع الشماس يرتل "ابصلموس دافيد" فإنه يعنى "مزمور عن داود" فكلمة داود هنا فى اللغة اليونانية فى حاله (القابل) وليست فى حالة (المضاف إليه) فليس التعبير هو "مزمور لداود" ولكنه "مزمور عن داود" وداود هو الاسم النبوى والشعرى لربنا يسوع المسيح "بعد ذلك يعود بنو اسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام" (هو 5:3).

"فأخلص غنمى.. وأقيم عليها راعيا واحد فيرعاها عبدى داود هو يرعاها وهو يكون لها راعيا. وأنا الرب أكون لهم إلها وعبدى داود رئيساً فى وسطهم. أنا الرب تكلمت" (حز 34:22-24).

"وداود عبدى يكون ملكاً عليهم ويكون لجميعهم راع واحد" (حز 24:37)، "وعبدى داود رئيس عليهم إلى الأبد" (حز 25:37)، "يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم الذين أقيمه لهم" (أر 9:30).

واضح طبعاً أن هؤلاء الأنبياء لا يتكلمون عن داود بن يسى إذ أنهم جاءوا بعده بأجيال كثيرة ولكنهم يتكلمون بروح النبوة عن داودنا الجديد ربنا يسوع المسيح.. وكلمة داود بالعبرية هى كلمة ودود بالعربية أى المحبوب وهو لقب للمسيح "لمدح مجد نعمته التى انعم بها علينا فى المحبوب" (أف 1:6).

لذلك نعود فنقول أن المزمور السابق للإنجيل يتحدث دائماً عن ربنا يسوع المسيح بروح النبوة ليبرزه لنا حاضراً فى الكنيسة معزياً شعبه بكلمات نعمته المحييه.

سمعان الكاهن بعد الأوشية يصعد الشماس إلى الهى ومعه البشارة (الإنجيل).. ويمسك الكاهن البشارة حاسباً أن ما بين يديه هو تجلى لربنا يسوع المعلم فيهتف مع سمعان المبارك: "الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام حسب كقولك لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعوب. نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو 2:29-32).

إن العبارة التى قالها سمعان فى الهيكل عندما حمل السيد وهو طفل رضيع.. هى نفسها العبرة التى يرددها الكاهن الآن باعتباره يحمل المسيح فيما يحمل الإنجيل... أليس الإنجيل هو كلمة الله؟! فالمسيح إذا حاضر فى إنجيله.

البخور للإنجيل وكلمة الإنجيل تعنى الرسالة الحسنة أو البشارة الموجهة لذلك فنحن نؤمن أن المسيح هو إنجيلنا هو الرسالة الحسنة وبشارة الخلاص المفرحة.. فالمسيح هو محور الإنجيل ومركزه ومحتواه وموضوعه.. لذلك عندما يبخر الكاهن للإنجيل قائلا سراً: "اسجدوا لإنجيل يسوع المسيح ابن الله الحى. له المجد إلى الأبد" إنما يعنى السجود للمسيح رأساً.. لأن الإنجيل هو المسيح، والمسيح حاضر فى الإنجيل (فى ضمير وفهم الكنيسة).

الاستقبال الملوكى كل ما سبق كان تهيئة للحظة المقدسة التى ينتج فيها المخلص فاه ويعلمنا من إنجيله.. لذلك يهتف الشماس فيها الشعب "قفوا بخوف الله لسماع الإنجيل المقدس".

وينحنى الكاهن رافعاً الإنجيل فوق رأسه مردداً: "مبارك الآتى باسم الرب" أنها نفس العبارة التى أستقبل بها أطفال أورشليم المسيح.. وأيضاً يرددها الشعب عن التناول من الأسرار المحيية.

إننا بها نستقبل المسيح المعلم الآتى باسم الرب، ويرد الشعب "المجد لك يارب - ذكصاسى كيرى".
وفى مقدمة القراءة ليعلن الشماس (أو الكاهن) عن شخصه القارئ فيقول: "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ابن الله الحى له المجد إلى الأب"، "بين شويس".

وهى نفس العبارة التى يرددها الكاهن عند حلول الروح القدس فى القداس وتحويل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه.. وهذه العبارة تعلن عن شخصية المسيح على المذبح أو سابقاً على المنجلية.

سر الإنجيل إن سر الإنجيل الذى يصليه الكاهن سراً أثناء قراءة إنجيل القداس إنما يعبر ببراعة عن إيمان الكنيسة إن المسيح حاضر وهو يقرأ الإنجيل بنفسه فيبدأ "أيها الطويل الأناة الكثير الرحمة الحقيقى اقبل سؤالاتنا وطلباتنا منا. أقبل ابتهالاتنا منا وتوبتنا واعترافتنا على مذبحك المقدس الطاهر السمائى: فلنستحق سماع أناجيلك المقدسة ونحفظ وصاياك وأوامرك ونثمر فيها بمئة وستين وثلاثين...".

هذه الصلاة يتلوها الكاهن وبيده الشورية ووجهه نحو المنجلية إيماناً منه بحضور المسيح ثم يعقبها بطلبات (أواشى) من أجل المرضى والمسافرين والأهوية والمياه والثمار وخلاص الناس والبهائم ورئيس الجمهورية والمسجونين والراقدين وأصحاب القرابين والمتضايقين والموعوظين.. نفس الوضع الذى يتبناه الكاهن عندما يرى المسيح حاضراً أمامه على المذبح بعد سر حلول الروح القدس.. وكأنما كلما استعلن المسيح فى الكنيسة يهتف الكاهن متوسلاً إليه بالطلبات عن الشعب والكنيسة والعالم.. لأن الكاهن المسيحى هو كاهن للخليقة كلها.

ومسئول عن رفع طلباتها أمام الله وأن يشفع فيها "الكاهن هو ابريسفتيروس أى شفيع" وأن ينوب عنها فى تقديم التسبيح لله. لذلك فكلما سنحت الفرصة له يرفع الأواشى متوسلا عن الخليقة كلها وهذا هو سر تكرار الأواشى فى القداس.. ففى كل مرة يستعلن المسيح يطلب الكاهن منه عن الكنيسة والشعب..

وبعد الانتهاء من قراءة الإنجيل يسجد الشعب والكاهن قائلين المجد لله دائماً.. والمجد لله لأنه حاضر فينا ومتجلى بيننا..

ويدخل الكاهن والشماس إلى الهيكل لكى تبدأ مرحلة جديدة من القداس فيها يتوارى المسيح المعلم (يضع الشماس البشارة خلف كرس الكأس) لكى يظهر المسيح الذبيح (يرفع الكاهن الأبروسفارين).